و ماسواها (235)

الخطابات والسلوك!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

sadiqalsamarrai@gmail.com

للخطابات التي يلقيها الساسة والقادة والمصلحون والذين لهم شأن ودور في المجتمع , تأثير سلوكي وأخلاقي في الحياة العامة , ولا يمكن فصل ما يجري في أي مجتمع عمّا يدور في منابره المتنوعة , وما يسود في وسائله الإعلامية التي يتفاعل معها الناس.

فللخطابات تأثيراتها وقدراتها على صناعة السلوك البشري وصياغة التفاعلات الإجتماعية , وبواسطتها يتم تحديد معالم الأيام , وخصائص الحياة التي يعيشها الناس في أي مجتمع.

ومن الواضح أن مجتمعاتنا تفتقد الإدراك المعاصر لقيمة الخطاب ودور الكلمة في الحياة , مما يؤدي إلى الإسفاف والهذربة والتشويش والتدمير المتواصل للعقل والذوق والإرادة.

أولا:فحوى الخطابات!!

طبيعة الخطابات ما يميز الدول المتقدمة عن المتأخرة , والفرق واضح بينهما , فالخطاب المتقدم يتناول موضوعات لها شأن إقتصادي ومتصل بهموم الناس وحاجاتهم الإنسانية , والمتأخر مشحون بالضبابية والعدوانية والإنفعالية , ولا تجد فيه سوى حديث الكراسي والمآسي , والتصارع على المناصب والإستحواذ على الثروات.

وبإلقاء نظرة سريعة على خطابات ساساتنا وساستهم , تتضح الصورة وتتجلى الإرادات والنوايا وتتعرى الخفاقا والمستورات.

الخطاب المتقدم من أولوياته الإقتصاد وحقن الدماء , والمتأخر يمعن بسفكها ولا يعنيه الإقتصاد , لأنه لا يهتم بالناس بقدر إهتمامه بتجارة المناصب والسلطات.

ومن الواضح أن طبيعة الخطاب السياسي تتناسب وواقع الأحوال في البلد , فكلما تنامت فيه المفردات الدالة على المعاني الإقتصادية والحاجات الأساسية , كلما تطور المجتمع وإستتب الأمن والسلام , وكلما إزدادت وتكررت فيه مفردات العدوان والتهديد والوعيد , فأن المجتمع يكون في منتكس ويعيش تحت وطأة الأهوال والتداعيات والويلات والفساد والإقتتال.

ولا يوجد خطاب في دولنا يهمه الوضع الإقتصادي والمعيشي للإنسان , إلا الخطاب المصري في السنة الأخيرة , حيث بدأ منطوقه يتغير ويتحول إلى خطاب متقدم يسعى لتأمين الأفضل للناس , ويعمل جاهدا لتحقيق الأمن الغذائي والمعيشي للمواطنين.

وهذه نقلة نوعية في الرؤية العربية التي لو تواصلت فأنها ستحقق تبدلا كبيرا في آلية التفكير العربي

للخطابات التي يلقيها الساسة والقادة والمصلحون والذين لهم شأن ودور في المجتمع , تأثير سلوكي وأخلاقي في الحياة العامة

من الواضح أن مجتمعاتنا تفتقد الإدراك المعاصر لقيمة الخطاب ودور الكلمة في الحياة , مما يؤدي إلى الإسفاف والهذربة والتشويش والتدمير المتواصل للعقل والذوق والإرادة

طبيعة الخطابات ما يميز الدول المتقدمة عن المتأخرة , والفرق واضح بينهما , فالخطاب المتقدم يتناول موضوعات لها شأن إقتصادي ومتصل بهموم الناس وحاجاتهم الإنسانية , والمتأخر مشحون بالضبابية والعدوانية والإنفعالية

الخطاب المتقدم من أولوياته الإقتصاد وحقن الدماء , والمتأخر يمعن بسفكها ولا يعنيه الإقتصاد , لأنه لا يهتم بالناس بقدر إهتمامه بتجارة المناصب والسلطات

أن طبيعة الخطاب السياسي تتناسب وواقع الأحوال في البلد

المعاصر , وتجعل الإنسان يدرك حقيقة مصالحه ومسؤولياته تجاه نفسه ومجتمعه والدنيا من حوله.

ويبدو أن مصر إذا نجحت في نهجها الجديد فأنها ستقدم للعرب نموذجا وقدوة لها قيمتها الحضارية , وتأثيراتها النوعية على الحياة في حاضرها ومستقبلها , وستنتشل الأجيال من غفوة العدم وتستنهض قدراتهم الكامنة اللازمة للتفاعل المبدع.

أي أن السلوك المصري ربما سينقل الأمة من حالة الركود والعجز وفقدان الثقة بالنفس , والشعور بالدونية والورائية والتبعية , إلى حالة الصيرورة الذاتية القادرة على توليد مفردات صناعة وجودها الأصيل , الكفيل بضمان سيادتها وقوتها وتحفيز قدراتها على الإتيان بما هو نافع ومفيد وجديد.

فالأمة ما أحوجها لتغيير خطاباتها على جميع المستويات , وإستخدام مفردات متفائلة متفاعلة مع عصرها , وذات طاقات إقتدارية كفيلة بالتوثب إلى حيث الأهداف والطموحات الإنسانية , اللازمة لإنبثاق ما فيها من أفكار وتطلعات ذات شأن إبداعي نوعي , ومؤثر في إنتقال الحياة إلى آفاق عوالم ذات معانٍ نبيلة سامية , مكللة بالأخوة الإنسانية الصالحة لخلق الله أجمعين.

فهل سنستثمر في خطاباتنا ونتعلم مهارات إقران الكلمات بالأعمال؟!

ثانيا:الخطاب الوطني المفقود والقول المنكود!!

المجتمعات الحية تمتلك خطابا وطنيا واضحا صريحا تجتمع عليه القلوب والعقول والنفوس , وتعتصم به جميع الإرادات الساعية للقوة والقدرة والعزة والرقاء , ولا يمكن لمجتمع أن يمضي في سكة الحياة المتصاخبة دون ذلك الخطاب الجامع المانع.

وهذا الخطاب يتضمنه الدستور وتحميه القوانين والسلطات التنفيذية والتشريعية والقانونية , وعندما لا تتوفر هذه المنطلقات في أي مجتمع فأنه يتحول إلى ساحة للقول المنكود , أي الذي يجلب النكد لأنه يساهم في تأجيج الأزمات وتعقيد المشكلات والإستثمار في الويلات.

ويبدو ذلك السلوك واضحا في المجتمعات التي غاب فيها الوطن وتميعت الدولة ككيان ومؤسسة , كما في بعض دول المنطقة الشرق أوسطية , التي تأججت فيها النزاعات التدميرية الفائقة القدرة على التهجير والتخريب وسفك الدماء.

كما أن المجاميع والفئات بأنواعها قد أصيبت بوباء الإنفلات والتمنطق بمفردات العدوان والإنتقام , وصار لكل حارة وشارع قائد ينطق وفقا لما يساهم في التعثر والغياب , وكلٌ يحسب نفسه صاحب القول الفصل والقرار الصائب , والآخرون أعداء ولا يجوز له أن يكون متفقا معهم على جواب.

ولهذا ترى التصريحات المتضاربة والآراء الفوضوية والكتابات الحَمَقية تطيش في الأيام , كأنها السهام الخائرة الحائرة التي اضاعت أهدافها وتعددت أوصافها وتسمياتها , وتخربت ديارها بيديها , لأنها صارت تُرمى "عامي شامي" (عشوائيا), وهي ترفع رايات الطيش والتيهان الأليم.

ولا يمكن لمجتمع أن ينجز شيئا وفيه أفواه تبوح بما تشتهيه من الكلمات والعبارات وفقا لحالتها النفسية ودرجتها الإنفعالية والعاطفية , ولكمية ما يحقن فيها من الأموال وما توعد به من الآمال واللذائذ والأحلام.

وعليه فأن من الضرورات القصوى أن يتوحد الخطاب في المجتمع , ويكون له ناطقا بإسمه ومعبرا عن إرادته الحرة الحية المتفقة ومصالحه وتطلعات أجياله.

ثالثا:إصلاح الخطاب الديني أم السياسي؟!

بعض الساسة العرب وقادتهم أخذوا يتحدثون عن إصلاح الخطاب الديني ويتجاهلون إصلاح الخطاب

كلما تنامت فيه المفردات الدالة على المعاني الإقتصادية والحاجات الأساسية , كلما تطور المجتمع وإستتب الأمن والسلام

كلما إزدادت وتكررت فيه مفردات العدوان والتهديد والوعيد , فأن المجتمع يكون في منتكس ويعيش تحت وطأة الأهوال والتداعيات والويلات والفساد والإقتتال.

الأمة ما أحوجها لتغيير خطاباتها على جميع المستويات , وإستخدام مفردات متفائلة متفاعلة مع عصرها , وذات طاقات إقتدارية كفيلة بالتوثب إلى حيث الأهداف والطموحات الإنسانية

المجتمعات الحية تمتلك خطابا وطنيا واضحا صريحا تجتمع عليه القلوب والعقول والنفوس , وتعتصم به جميع الإرادات الساعية للقوة والقدرة والعزة والرقاء

عندما لا تتوفر هذه المنطلقات في أي مجتمع فأنه يتحول إلى ساحة للقول المنكود , أي الذي يجلب النكد لأنه يساهم في تأجيج الأزمات وتعقيد المشكلات والإستثمار في الويلات.

من الضرورات القصوى أن يتوحد الخطاب في المجتمع , ويكون له ناطقا بإسمه ومعبرا عن إرادته الحرة الحية المتفقة ومصالحه وتطلعات أجياله

في المجتمعات العربية التي يفسد فيها الخطاب السياسي ويكون مفعما بالفتاوات والمناطقيات والتحزبيات , ترى الخطاب الديني ينساق وراءه ويحذو حذوه ويجدها فرصته فيكون مثله وأشرس.

السياسي الذي هو الأساس , فلو كان الخطاب السياسي صالحا ومستوعبا وجامعا ووطنيا حقا , بمعنى يضع مصلحة الوطن والمواطنين أولا , لتأثر به الخطاب الديني وما وجد فرصة سانحة للإنتشار.

فالخطاب الديني إنعكاس للخطاب السياسي , وفي المجتمعات العربية التي يفسد فيها الخطاب السياسي ويكون مفعما بالفئويات والمناطقيات والتحزبيات , ترى الخطاب الديني ينساق وراءه ويحذو حذوه ويجدها فرصته فيكون مثله وأشرس.

فالمشكلة التي يتغافلها الساسة العرب أن الخطاب السياسي هو الأهم في رسم خارطة السلوك البشري , وأن الخطاب الديني عبارة عن صدى للخطاب السياسي , وهذا ماض على مر العصور وفي مختلف المجتمعات البشرية , وما نسميهم بوعاظ الكراسي أو السلاطين موجودين في جميع المجتمعات والديانات.

فالديني يعتاش على السياسي والعكس صحيح , لأن العلاقة متبادلة ومترابطة وتكاد تكون إعتمادية أو تكافلية , ولهذا فأن الدعوة إلى إصلاح النتيجة والإمعان في تأكيد السبب وتطويره , سلوك فيه من الإضطراب ما يشير إلى العمل المُغفل لصناعة الكوارث الإجتماعية والتداعيات المدمرة للبلاد والعباد.

وعليه فأن المطلوب أن يتحقق إصلاح حقيقي للخطاب السياسي , ويعمل القادة على كتابة الخطابات المدروسة والواعية المستوعبة البليغة , القادرة على توظيف الطاقات والقدرات لتحقيق تفعيل مشترك ما بين أبناء المجتمع , والوصول إلى أهداف ذات قيمة شاملة وطاقات تأهيلية , للأخذ بالناس إلى آفاق التقدم والرقاء , وعندها سينساق الخطاب الديني وراء الخطاب السياسي , ويكون عونا له ومعززا لخطواته الحميدة الطيبة.

لكن إحتشاد الخطاب السياسي بالعدوانية والبغضاء والإنتقامية والإقصائية والتهديد والوعيد والتخويف , والقسوة على المواطنين وأسرهم بالحرمان والركض وراء الحاجات , يؤسس لخطاب ديني مشحون بالسلبية والعدائية , فيخسر الوطن والمواطنون.

وعليه فمن الواجب على القادة العرب أن يتحوّلوا عن دعوات إصلاح الخطاب الديني أو الإصلاح الديني , والعمل الجاد والمجتهد على إصلاح الخطاب السياسي , وتأكيد الإرادة الوطنية الصادقة الجادة لإنجاز الإصلاح السياسي النافع للناس , وبهذا تكون الأوطان عزيزة ويعيش المواطنون بكرامة وقدرة على بناء الحياة المشرقة بحاضرها الجميل ومستقبلها الأجمل!!

وعليه فأن الحرص على تعزيز قيمة الكلمة ودورها في بناء النفوس , ومدّها بالتفاؤل وبطاقات الفرح والبهجة والسرور من خلال الإنجازات البرهانية المقرونة بالخطاب , هو الحل الأمثل لتعثرات الأمة , والأخذ بها إلى آفاق الفعل المعاصر الواثق الوثاب.

أن الخطاب السياسي هو الأهم في رسم خارطة السلوك البشري , وأن الخطاب الديني عبارة عن صدى للخطاب السياسي

الديني يعتاش على السياسي والعكس صحيح , لأن العلاقة متبادلة ومترابطة وتكاد تكون إعتمادية أو تكافلية

المطلوب أن يتحقق إصلاح حقيقي للخطاب السياسي , ويعمل القادة على كتابة الخطابات المدروسة والواعية المستوعبة البليغة

من الواجب على القادة العرب أن يتحوّلوا عن دعوات إصلاح الخطاب الديني أو الإصلاح الديني , والعمل الجاد والمجتهد على إصلاح الخطاب السياسي

أن الحرص على تعزيز قيمة الكلمة ودورها في بناء النفوس , ومدّها بالتفاؤل وبطاقات الفرح والبهجة والسرور من خلال الإنجازات البرهانية المقرونة بالخطاب , هو الحل الأمثل لتعثرات الأمة

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa235-020419.pdf